سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

مقصود السورة:

الذب عن نبينا محمد ﷺ، وتبكيت خصمه أبي لهب، وكل من ناوأ الرسل، وأتباع الرسل.

وسبب نزول هذه السورة: ما رواه ابْن عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ"، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ! يَا بَنِي عَدِيٍّ! لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"رواه البخاري [1]. وهو دعاء عليه، بجنس ما دعا به على النبي ﷺ وخبر، وذم، ووعيد.

(تَبَّتْ) : خسرت، فهذا دعاء من الله ﷻ على أبي لهب بالهلاك، والخسران، والدعاء من الله محقق.

(يَدَا أَبِي لَهَبٍ) أبو لهب: كنية عم النبي ﷺ وقد كان له تسعة من الأعمام، منهم أبو لهب. لقب بهذا اللقب؛ لحمرة في وجهه، كأن في وجهه لهبة، وآسمه عبد العزى بن عبد المطلب.

(وَتَبَّ) الثانية خبر بحصول ذلك، يعني أنه وقع عليه التباب، والخسران.

---

[1] صحيح البخاري (4770).

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ يعني: لن ينجيه ماله، وولده؛ لأن الولد من الكسب؛ وذلك أن أبا لهب قال "إن كان ما يقول ابن أخي حقا، فسأفتدي منه بمالي، وولدي[1]، فقال الله رادًا عليه: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ وزاد ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ ﴾.

(سَيَصْلَى نَارًا) أي يدخل النار، فتحرقه، وتشويه.

(ذَاتَ لَهَبٍ) وصفها الله بهذا الوصف المناسب لكنية أبي لهب، نكايةً به، وسخرية.

(ذَاتَ لَهَبٍ) يعني: ذات توقد، واضطرام، وتلهب.

(وَامْرَأَتُهُ) أي: وامرأته كذلك ستصلى تلك النار، وهي أم جميل، وكانت تؤذي النبي ﷺ، وتسميه مُذمَّم، بدلا من (محمد)، وتلقي في طريقه الشوك، ولهذا نبزها القرآن بهذا الوصف الذميم: (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ). ويجوز في (حَمَّالَةَ): النصب، والرفع.

وقيل: إنها وصفت بهذا الوصف؛ لأنها كانت تمشي بالنميمة، والذي يمشي بالنميمة كمن يحمل الحطب، ليحرق الناس، بإيغار الصدور، وإفساد ذات البين.

وقيل: لاحتطابها؛ أي: أنها كانت تحمل الحطب. وهذا بعيد؛ لأنها كانت أمرأة غنية، لا تحتاج إلى المهنة.

(فِي جِيدِهَا): في عنقها.

(حَبْلٌ) الحبل معروف.

(مِنْ مَسَدٍ) قيل: أنه الليف، والليف على العنق شديد الأثر.

وقيل: المسد: سلسلة من حديد، تكون في النار، قدرها سبعون ذراعا، على عنقها.

وقال بعض المفسرين: كان في عنقها قلادة، من ودع، فكان هذا من باب الذم لها، والنبذ لها، من جنس ما كانت تفعل مع النبي ﷺ حينما كانت تسميه مذمم، بدلا من (محمد)،

---

[1] تفسير ابن كثير (8/515).

فانتصر الله لنبيه، وأنزل هذا الوعيد، في حق من نال منه بقول، أو فعل، وهذا عاقبة كل من تطاول، على مقام نبينا ﷺ.

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: غلظ كفر أبي لهب، وأمرأته، وبؤس عاقبتهما؛ لكون الله تعالى أفرد سورة كاملة، في ذمهما.

الفائدة الثانية: نصرة الله لنبيه ﷺ.

الفائدة الثالثة: أن الجزاء من جنس العمل.

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

ومقصد السورة:

بيان التوحيد العلمي.

وقد جاء في سبب نزول هذه السورة عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا مُحَمَّد انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ - فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ رواه الترمذي[1].

سورة (الإخلاص) تعدل ثلث القرآن؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ"، يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ" رواه البخاري[2] وفي رواية قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ "أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ" فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: "اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ" رواه البخاري[3].

وإنما كانت تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن:

- إما أخبار.
- وإما عقائد.
- وإما أحكام.

فالأحكام: ما يتعلق بالحلال والحرام.

والعقائد: ما يتعلق بأصول الإيمان.

والأخبار: ما جرى بين الأنبياء، وأممهم، ونحو ذلك.

---

[1] سنن الترمذي (3364) حسنه الألباني.

[2] صحيح البخاري (5013).

[3] صحيح البخاري (5015).

فلما أفردت هذه السورة لأصل الاعقائد؛ كانت تعدل ثلث القرآن، ولكنها تعدل ثلث القرآن في الفضل، لا في الأجزاء، فلو حلف إنسان، أن يختم القرآن، لم يجزئه أن يقرأ سورة (الإخلاص) ثلاث مرات. ولو قام إنسان في الصلاة، فقرأ الإخلاص ثلاث مرات، لم تجزئه عن قراءة (الفاتحة).

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (الأحد) من أسماء الله الحسنى. وهذا الاسم لا يطلق منكَّراً، إلا على الله ﷻ، فإذا قيل "أحد" فالمراد به الله ﷻ، ولهذا كان يقول بلال: "أَحَدٌ أَحَدٌ"سنن ابن ماجه[1] وكذلك لا يطلق على سبيل الإثبات، فيقال: "هو الأحد"، إلا على الله ﷻ لا يقال في حق مخلوق.

أما إذا جاء في سياق النفي، أو في سياق الشرط، أو في سياق الاستفهام، فإنه قد يطلق على غير الله ﷻ:

- فسياق النفي مثل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.
- وسياق الشرط كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة:٦].
- وأما سياق الاستفهام فكقول الله ﷻ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾ [مريم:٩٨]. والنكرة في سياق النفي، أو الشرط، أو الاستفهام تدل على العموم.

من أرد أن يمتلئ قلبه بتعظيم الرحمن، فليكثر من قراءة هذه السورة، ومن خطر بباله خاطر شيطاني، فليقل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، فينطرد ذلك الخاطر؛ لأن الشيطان يلقي في قلب

[1] سنن ابن ماجة (150)، مسند أحمد(3832) حسنه الألباني.

ابن آدم، الأوهام، والوساوس، فإذا قرأ هذه السورة البينة، انقشع ما هجم على قلبه من الخطرات.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾: (الصَّمَدُ) من أسماء الله الحسنى. قيل فيه عدة أقوال:

- فقيل: السيد، الذي انتهى سؤدده، يعني: بلغ الغاية في سؤدده، وفي شرفه، فهو السيد المطلق، كما قال النبي ﷺ حين جاءه وَفْد بَنِي عَامِرٍ، فقالوا له: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ « السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى »رواه أبو داود[1].

قال ابن عباس ﷺ (الصمد): هو السيد الذي قد كمُل في سُؤدَدِه، والشريفُ الذي قد كمُل في شرفه، والعظيم الذي قد كمُل في عظمته، والحليم الذي قد كمُل في حلمِه، والغنيُّ الذي قد كمل في غناه، والجبَّارُ الذي قد كمُل في جبروته، والعالم الذي قد كمُل في علمه، والحكيم الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمُل في أنواع الشرفِ والسُؤدَدِ، وهو اللهُ سبحانه هذه صفتُه، لا تنبغي إلا له[2].

- وقيل: الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها، فجميع الخلائق من أنس، وجن، وطير، ووحش، وبهائم، كلها ترفع حاجتها إلى الله ﷻ.
- وقيل: الذي لا جوف له، يعني أنه مستغن؛ لأن الذي له جوف، محتاج، كالآدميين، والبهائم، ونحوها، فهي خلق أجوف؛ تأكل، وتشرب، وتبول، وتتغوط، ولها شهيق وزفير. أما الرب ﷻ فهو لا يطعم، ولا يشرب، سبحانه وبحمده، غني بذاته، فلهذا قيل في تفسير (الصمد) هذا المعنى.

(لَمْ يَلِدْ) يعني أنه سبحانه لا ولد له، لا ابن، ولا بنت، كما ادعى من ادعى من أهل الباطل، فاليهود تقول: عزير ابن الله، والنصارى تقول: المسيح ابن الله، ومشركو العرب يقولون: الملائكة بنات الله، والله تعالى يقول ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾. يعني أنه

---

[1] سنن أبي داود (4806) صححه الألباني .

[2] تفسير الطبري (736/24).

سبحانه لم يتسلسل من أحد، ولا يتسلسل منه أحد. بل هو الأول، فليس قبله شيء، وهذا لا يكون إلا في حق الله.

وربما يخطر في بال أحد فيقول: لماذا نفى الله تعالى عن نفسه الولد؟ والجواب عن ذلك: أن يقال: إنما يُتخذ الولد للحاجة، فالناس يستولدون؛ لحاجتهم إلى الولد، ولينفعوهم وقت الكبر، والله غني عن ذلك، و- أيضا - لو كان لله ولد وحاشاه - لكان الولد من جنس أبيه، والله تعالى ليس كمثله شيء، لكمال وحدانيته سبحانه.

ثم ختم ذلك بقوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ يعني لا مكافئ لله، ولا مماثل له، ولا ند له، ولا نظير.

فلله سبحانه وتعالى جمع فيما وصف، وسمى به نفسه، بين النفي والإثبات، كما في هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ فهذا إثبات، وأما قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ فهذا نفي، ولا يتم العلم بالله إلا بالجمع بين الأمرين، بإثبات صفات الكمال، ونفي صفات العيب والنقص، ومماثلة المخلوقين.

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] فـ (الْحَيِّ) إثبات، و(الَّذِي لَا يَمُوتُ) نفي.

وهذا إثبات بلا تمثيل: فالله تعالى أثبت أنه أحد، وأنه صمد، فنثبت هذا لله على وجه لا يبلغ التمثيل؛ كما نفى عن نفسه الوالد والولد، فننزهه عن مماثلة المخلوقين، لكن هذا التنزيه لا يبلغ مبلغ التعطيل.

فهذه السورة على قصر آياتها، من أعظم سور القرآن، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن، وقد كان النبي ﷺ يقرنها مع سورة (الكافرون)، في ركعتي الطواف، وراتبة الفجر، وفي الشفع والوتر من الليل؛ لعظم هاتين السورتين.

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: بيان صفة الرحمن.

الفائدة الثانية: إثبات الأسماء الحسنى (الأحد) و(الصمد).

الفائدة الثالثة: كمال وحدانية الله – سبحانه – في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، فهو واحد في ذاته، واحد في أسمائه، واحد في صفاته، وأفعاله، ليس كمثله شيء.

الفائدة الرابعة: كمال غناه – سبحانه –، وافتقار الخلائق إليه، وأن جميع الخلائق تصمد بحاجاتها إليه.

الفائدة الخامسة: تنزهه – سبحانه – عن الوالد، والولد، ومماثلة المخلوقين، ومن لم يكن له ولد، فليس له صاحبة.

الفائدة السادسة: الرد على اليهود، والنصارى، ومشركي العرب.

الفائدة السابعة: الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل.

الفائدة الثامنة: الجمع بين النفي، والإثبات في صفات الله تعالى.

سورة الفلق

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾

مقصد السورة:

- الاستعاذة بالله، من الشرور الخارجية.

سورة (الفلق) وسورة (الناس)، حصنان منيعان، وحرزان عظيمان، لا يستغني عنهما مسلم؛ فسورة (الفلق) حرز من الشرور الخارجية، وسورة (الناس) حرز من الشرور الداخلية. فهما المعوِّذتان. كان النبي ﷺ يتعوذ بهما؛ فعن أبي سَعِيدٍ الخُدريِّ ﷺ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا"رواه الترمذي [1]، وقد قال النبي ﷺ للصحابي الجليل ابن عابس الجهني ﷺ:" يَا ابْنَ عَابِسٍ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ"رواه النسائي [2].

(قُلْ أَعُوذُ): أي ألتجأ، وأعتصم، وأستجير.

(بِرَبِّ الْفَلَقِ) قيل في تفسير الفلق أقوال:

- الصبح؛ قال الله تعالى ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].
- وقيل: إنه جبٌّ في جهنم - والعياذ بالله -، يعني بئر في جهنم.
- وقيل: إنه اسم من أسماء جهنم.
- وقيل إن (الفلق) اسم لعموم الخلق.

وأقرب هذه الأقوال: أن المراد بالفلق الصبح.

---

[1] سنن الترمذي (2058) صححه الألباني.

[2] سنن النسائي (5432) ،مسند أحمد (17297) وصححه الألباني.

(رَبِّ الْفَلَقِ) فهذا من إضافة المخلوق وهو الفلق، إلى خالقه وهو الرب. فالمستعاذ به رب الفلق -ﷻ-. والمستعاذ منه هو ما يلي.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ هذا أولها، و(مَا) اسم موصول بمعنى "الذي"، فيشمل كل مخلوق فيه شر، من إنس، أو جن، أو حيوان، أو جماد، ، أو دواب، أو ريح، أو طير،...، وكل شيء فيه شر، حتى النفس فيها شر يستعاذ منه؛ فقد كان النبي ﷺ يستعيذ من شرها قائلا: "أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ"رواه أبو داود[1] فكل ما خطر ببالك مما فيه شر، فأنت تستعيذ برب الفلق من شره.

وليس في الكون إلا خالق، أو مخلوق، فالله الخالق، وهو المستعاذ به، وما سواه مخلوق، وهو مستعاذ من شره. لكن إذا كان الشيء مما يقدر عليه العبد، أو المخلوق، فلا بأس أن يستعيذ به، أما إذا لم يكن مقدورًا للمخلوق عليه، فإن الاستعاذة به: شرك. فما من شيء في الوجود، إلا والله محيط به، والله قادر عليه، فينبغي للعاقل أن يستعيذ بالقادر، لا يستعيذ بالعاجز، فإذا كان الله خالق الأشياء جميعا، وهو ربها، ومالكها، ومدبرها، فالاستعاذة به هي الاستعاذة النافعة.

فالذي يستعين بصاحب القبر، أو الغائب، أو نحو ذلك، قد وقع في الشرك العظيم.

وكذلك من استعان بالجن، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾ [الجن:٦] يعني زادوهم اضطرابا، وشدة في حالهم.

لكن لو أن أحدا استعاذ بحصن، فقال: "أعوذ بهذا الحصن" يعني: امتنع به. فلا بأس، ومنه قول النبي ﷺ "يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ"رواه مسلم[2] والمراد بـ"البيت" في الحديث أي: الحرم، فإنه يعيذ من أوى إليه، إلا من

---

[1] سنن أبي داود (5067)، سنن الترمذي (3392)، صححه الألباني .

[2] صحيح مسلم (2882).

استثني في حديث عمرو بن سعيد حيث قال: (إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيذُ عَاصِيًا، وَلَا فَارًّا بِدَمٍ، وَلَا فَارًّا بِخُرْبَةٍ)متفق عليه[1] ، والخربة - كما قال البخاري -: الجناية والبليَّة.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ معنى (الغاسق):

- قيل: إنه الليل.
- وقيل: إنه القمر.
- وقيل: إنه اسم لكوكب، أو نجم.

ومما يدل على أن من معانيه القمر، أن رَسُول اللهَّ ﷺ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللهَّ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» رواه الترمذي [2]

ويمكن أن يتسع المعنى لعموم الليل، لكون القمر من جملة الليل؛ لأنه آية ليلية.

ومعنى ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ يعني:

- من شر الليل إذا أقبل بظلامه.
- أو أن يكون معناها: من شر القمر إذا طلع.
- وقيل: من شر القمر إذا غاب.

وحديث عائشة يدل على أنه طلع. فالشر والضرر يكون في الليل، أكثر من النهار؛ لأنه مع الظلام يحصل شرور، ولهذا تجد أن اللصوص يسرقون ليلا، والوحوش والهوام، إنما تخرج من بيوتها، وجحورها، ليلا، فيقع في الليل من الشر، أكثر مما يقع في النهار.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ هذا ثالث المستعاذ منه.

(النَّفَّاثَاتِ) هن السواحر، جمع ساحرة، اللواتي ينفثن في الخيوط، والعقد، بلا ريق - لأن النفث يكون بلا ريق، والتفل يكون بالريق - فالسواحر - قبحهن الله – يعمدن إلى

---

[1] صحيح البخاري (1832)، صحيح مسلم (1354).

[2] سنن الترمذي (3366)، مسند أحمد (25802) صححه الألباني.

خيوط، فيعقدنها، وينفثن فيها، بهمهمات شيطانية، ينشأ عنها السحر، الذي يمرِض، أو يقتل. وعبر بجمع المؤنث السالم، لأن السحر أكثر ما يقع من النساء. فأكثر من يتعاطى السحر: النساء، ولهذا قال: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾، ولم يقل: ومن شر النفاثين، وإن كان في الرجال سحرة، ولا ريب، لكن فشوه، وانتشاره، وطلبه، في النساء أكثر، فلهذا عبر بـ (النَّفَّاثَاتِ)، من باب التغليب.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ هذا رابع المستعاذ منه.

* **الحسد**: هو تمني زوال نعمة غيره، أو كراهية حصول النعة لغيره، وهذا أبلغ.

ومعنى (إِذَا حَسَدَ) يعني إذا أظهر حسده. وغالباً ما تصيب العين، حال تكيِّف النفس الخبيثة بالحسد، فيقترن بها تأثير الشيطان الحسي، فتؤذي المحسود؛ في نفسه، أو بدنه، أو ماله. لأن الحاسد – أجارنا الله وإياكم – إذا اضطرم الحسد في قلبه، أراد كيد المحسود، وإزالة النعمة عنه، بتدبير المكايد، والحيل، التي يتوصل بها إلى أذاه، أو يصيبه بعين، والعين حق، وذلك بأن تتكيف نفسه تكيُّفًا شيطانيًا، فيقع منه نظرة، يتدخل فيها الشيطان، فيصيب المُعان، أو المعيون، بنوع ضرر، قد يقتله، وقد يمرضه، فلا عصمة، للعبد إلا بهذا العوذ الشرعية، كهذه السورة.

فهذه السورة العظيمة فيها فرار إلى الله، واعتصام بجنابه، واستجارة به، من الشرور الخارجية، التي شملها قوله: (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)، ومن زمانها، كالليل إذا أقبل، أو القمر إذا طلع، ومن أدواتها، كالسحر الذي تصنعه السواحر، في نفثهن في العقد، ومن شر الحاسد، الذي يصيب بعينه المحسود، لهذا كانت هذه السورة حرزا عظيما، وحصنا منيعا، من هذه الشرور، لا يعادلها شيء.

هي أنفع مما يصفه بعض الرقاة والقراء، حين يطلبوا من المصابين، أن يقرؤوا سورة كذا عدداً معيناً، في وقت معين، على هيئة معينة لم يرد بها أثر.

وقد أمر النبي ﷺ بقراءة هذه السورة، مع سورة الناس، وسورة (الإخلاص) في مواضع منها:

- في طرفي النهار، في الصباح والمساء، يقولها ثلاث مرات؛ فعن عَبْد اللهَّ بْنِ خُبَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا فَأَدْرَكْنَاهُ فَقَالَ « أَصَلَّيْتُمْ ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا فَقَالَ « قُلْ ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ « قُلْ ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ « قُلْ ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ مَا أَقُولُ قَالَ « (قُلْ هُوَ اللهُّ أَحَدٌ) وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ » رواه أبو داود[1].
- وكذلك كل ليلة، إذا أوى الإنسان إلى فراشه، جمع كفيه، وقرأ هذه السور الثلاث، ونفث في كفيه، ومسح من أعلى رأسه، إلى أخمص قدميه، يفعل ذلك ثلاث مرات؛ وذلك لما روته عائشة رضي الله عنها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا (قُلْ هُوَ اللهُّ أَحَدٌ) وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» رواه البخاري[2].

ففي هاتين السورتين حفظ للعبد من جميع أنواع الشرور. وفي هذه السورة، الحفظ من الشرور الخارجية، المتمثلة بلدغ العقارب، والحيات، وهجوم سبع، أو عدو صائل، والإصابة بالسحر، والإصابة بالعين، وغيرها من الشرور التي لا حصر لها. فكانت الاستعاذة برب الفلق، منها جميعا.

الفوائد المستنبطة

الفائدة الأولى: أن الاستعاذة عبادة، لا تكون إلا بالله، كما قال تعالى ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الدخان: ٢٠] .

---

[1] سنن أبي داود (5082)، سنن الترمذي (3575)، حسنه الألباني.

[2] صحيح البخاري (5017).

الفائدة الثانية: إحاطة الله بكل شيء، وقدرته عليه.

الفائدة الثالثة: كثرة الشر، والضرر، في الليل.

الفائدة الرابعة: خطر السحر، وكثرته في النساء.

الفائدة الخامسة: خطر الحسد، وما ينشأ عنه من العين، والكيد.

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

سورة الناس هي آخر سورة بين دفتي المصحف.

ومقصدها: الاستعاذة، من الشر الداخلي، ألا وهو الوسواس.

وشر الوسواس عظيم، حتى لكأن الشرور الخارجية في كفة، وهو في كفة!

فلو تأملنا لوجدنا عجبا: المستعاذ به في سورة (الفلق) اسم واحد من أسماء الله الحسنى، وهو رب الفلق، والمستعاذ منه أربعة أشياء: (مَا خَلَقَ)، (غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)، (النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)، (حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ). وفي سورة (الناس) المستعاذ به ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى (رَبِّ النَّاسِ)، (مَلِكِ النَّاسِ)، (إِلَهِ النَّاسِ)؛ الرب، والملك، والإله، والمستعاذ منه شيء واحد، وهو (شَرِّ الْوَسْوَاسِ)، مما يدل على عظم خطره، وأن أذاه بالغ جدًا، ولا يعصم العبد من الوسواس إلا الاستعاذة برب الناس، ملك الناس، إله الناس.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ الرب: هو الخالق، المالك، المدبر، الذي ربى عباده بنعمه. مأخوذ من التربية، وهي التنشئة، والتنمية شيئاً، فشيئاً. ومدار الربوبية على هذه الأوصاف الثلاثة: الخلق، والملك، والتدبير، وإليها تؤول بقية الأوصاف. ويجب توحيد الله بها.

(النَّاسِ) اختلف المفسرون في لفظة (النَّاسِ)، هل تختص بالإنس، أم يدخل فيهم الجن؟ قولان، حتى قال إمام المفسرين - ابن جرير الطبري -: لا يبعد أن يشمل لفظ الناس الجن؛ كما قال الله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:٦][1] فإذا كان فيهم رجال ونساء، فلا مانع أن يطلق عليهم ناس.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ أي مالكهم، ومدبر أمورهم - سبحانه - فأزِمَّة أمورهم بيده.

---

[1] تفسير الطبري (24/756).

﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ يعني: معبودهم؛ لأن إله: بمعنى مألوه، أي: معبود، فهو الرب، الملك، الإله، الحقيق أن يستعاذ به من شر الوسواس، الخناس.

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ قال تعالى (مِنْ شَرِّ)؛ لأنه ربما يقع وسوسة في النفس، لكن لا تكون من قبيل الشر.

و(الْوَسْوَاسِ) من الوسوسة، والأصل أنها الصوت الخفي؛ كما قال الأعشى:

تسمع للحلي وسواسًا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

يعني يشبه صوت الريح، حين مرورها بالشجر، والمراد بها هنا: حديث النفس، الذي يلقيه الشيطان، لا يسمعه أحد. يكون الشخص جوارك، تحدثه نفسه بشتى الأحاديث، وأنت لا تسمع شيئًا، بل هو لا يسمع بأذنيه، لكن يعيه بقلبه كما يعي حديث الناس.

و(الْوَسْوَاسِ) يطلق على الوسوسة ذاتها، ويطلق على الموسوس، أي: الشيطان، ولهذا وصفه بأنه الخناس.

(الْخَنَّاسِ) أي: أنه ينخنس، وينقبض، ويتأخر عند ذكر الله تعالى، فالشيطان يلتقم قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله ﷻ انقبض، وانخنس، بسبب ذكر الله تعالى؛ لهذا سمي خناسا.

﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾ هذا بيان لمحل الوسوسة، وهي صدور الناس، التي فيها قلوبهم.

﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ أي من الجن، وبني آدم، ولهذا الآية محملان عند المفسرين:

- الأول: أن الموسوس قد يكون تارة من الجن، وقد يكون تارة من الإنس؛ واستدلوا بقول الله تعالى ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] وعليه فيكون هناك:

* شياطين إنسيون: وهم رفقاء السوء، من الآدميين.

*وشياطين جنيون، وهم الشياطين الذين لا نراهم.

فأما وسواس شيطان الجن: فهو ما يلقيه في قلب الإنسان، من خطرات. وأما وسواس شيطان الإنس: فهو ما يلقيه في الأذن، من كلمات، يزين له الباطل، ويحسن له القبيح.

- المعنى الثاني: أن الشيطان يوسوس للجن، كما يوسوس للإنس، فقد يوسوس لجني مثله. والله أعلم.

والجن خلق من خلق الله، ومردتهم هم الشياطين، وهم ذرية إبليس، وأما بقيتهم فهم مكلفون، فمنهم المؤمنون، ومنهم القاسطون، ومنهم الصالحون، ومنهم دون ذلك؛ كما ذكر الله تعالى في سورة (الجن): ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الجن: ١٤] وقال قبلها: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١]

وهذا هو الاعتقاد الذي يجب أن يعتمده المؤمن، عن هذا العالم الغيبي، فالجن، مجتنُّون، كما أخبر ربنا ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾ [الأعراف:٢٧] فهم يروننا، ولا نراهم، ولذلك سُمي كل شيء مستخف، بأنه مستجن، كما سميت الجنة جنة، لالتفافها بالأشجار، وسمي الدرع (مِجنّاً) لأنه يستر ما تحته.

والجن عباد، مكلفون، مخاطبون بالشرع؛ قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣١] وقد عدهم ابن القيم، رحمه الله، في الطبقة الثامنة عشرة من (طبقات المكلفين) من كتابه: (طريق الهجرتين)، وذكر كلاماً حسناً، وتقريراً مفيداً، ينبغي الرجوع إليه[1].

وقد اجتمع الجن بالنبي ﷺ في ليلة من الليالي؛ حيث قال علقمة -رحمه الله - : قلت لابن مسعودٍ : هل صَحِبَ النبيَّ ﷺ ليلةَ الجِنِّ منكم أحدٌ ؟ قال : ما صحبه منَّا أحدٌ ، ولكنَّا كُنَّا مع

---

[1] انظر: طريق الهجرتين (613).

رسول اللهّ ﷺ ذاتَ ليْلَةٍ فَفقَدناهُ ، فالتمسناه في الأودية والشِّعابِ ، فَقُلْنَا : اسْتُطِيرَ ، أَوِ اغْتِيلَ ، فبِتْنا بشرِّ ليْلَةٍ باتَ بها قومٌ ، فلما أَصبحنا إذا هُوَجَاءٍ من قِبلِ حِراءَ، قال : فقُلْنا : يارسول اللهّ ، فَقَدْناكَ، فطلبناكَ، فلم نَجِدْكَ ، فَبِتْنا بشَرِّ ليلةٍ باتَ بها قومٌ ، قال : «أَتَاني داعِي الجِنِّ، فذَهبْتُ معه ، فقرأتُ عليهم القرآن» قال : فانطَلَقَ بنا ، فأرانا آثارهم ، وآثار نِيرَانِهِمْ ، وسألُوهُ الزَّادَ ، فقال : «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أَوْفَرَ ما يكون لَحْما،وكلُّ بَعْرَةٍ علَفٌ لِدَوَابِّكم» فقال رسولُ اللهّ ﷺ: «فلا تَسْتَنْجوا بهما ، فإنهما طعامُ إخوانِكم»رواه مسلم[1] .

فنحن نؤمن، ونصدق ما دلت عليه النصوص، وأما ما يتفوه به العامة، ويحكونه من قصص، وحوادث، فلا يؤخذ به، ولا يعتمد عليه، وقد يصيبون وقد يخطئون، فينبغي أن يعرض ذلك على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا يقطع العاقل بكل ما سمع، بل يعاملها معاملة الإسرائيليات.

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: أن الاستعاذة عبادة، ولا تكون إلا بالله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا هو؛ كالاستعاذة من أمر خفي، أو غيبي.

الفائدة الثانية: إثبات الأسماء الحسنى: الرب، والملك، والإله.، وما تضمنه من صفات: الربوبية، والملك، والألوهية، خلافاً للمعطلة من الجهمية والمعتزلة.

الفائدة الثالثة: شدة خطر الوسواس.

الفائدة الرابعة: أن الوسواس قد يقع من شياطين الإنس، كما يقع من شياطين الجن.

الفائدة الخامسة: أن الجن يتعرضون للوسوسة، كما الإنس.

---

[1] صحيح مسلم (450).

وبهذا تم الكلام بحمد الله، على هذا التفسير - تفسير جزء (عم) -، وتبين أن العناية بالقرآن العظيم، من أهم المهمات، ومن أوجب الواجبات، وأن طريق العلم الصحيح: أن يتوجه الإنسان، رأساً، إلى كلام رب العالمين، يتدبره، ويتفهمه، ويستنبط معانيه، فبذلك يحصل على العلم الرصين. وبقية العلوم فروع على علم التفسير. فلابد لطالب العلم أن يجعل لنفسه حظًا حسناً، ونصيبًا وافرًا، من قراءة التفاسير المعتبرة، وينير عقله وقلبه بتدبر كلام الله. قال ربنا ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]. فلا يكون هم أحدنا أن يكثر الختمات، ويقلب الصفحات، وحسب! ولكن يعمل فكره، وعقله، ونظره، في كلام رب العالمين، مستعينًا ببيان المفسرين المعتبرين، الذين يعتمدون على التفسير بالأثر، وعلى رأسهم إمام المفسرين (محمد بن جرير الطبري) - رحمه الله - وتفسير ابن كثير - رحمه الله - فإنه قد لخص تفسير الطبري، وزاد عليه، وحقق كثيرًا من المسائل. فإن لم يسعفك الوقت، فلا أقل من أن تنظر في تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم علمًا نافعًا، وعملا صالحًا، وتجارة لا تبور،

وأن يحسن عاقبتنا في جميع الأمور.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.